

لاجئون مرة أخرى: عودة الفلسطينيين من سوريا إلى غزة

مدينة غزة، 18 فبراير 2013

تعرف عائلة أحمد الدويك الكثيرة عن تجربة اللجوء، فقد أصبح أفرادها لاجئين لأول مرة عام 1948، عندما فر والده من مسقط رأسه بعد أن استولت القوات الإسرائيلية على قرية البطانى الغربي قرب أسدود، التي تقع في إسرائيل في الوقت الحاضر.

ومن هناك، استقر في مخيم للاجئين في قطاع غزة، إلى الجنوب من قريته، حتى اضطرته الحرب العربية الإسرائيلية في عام 1967 إلى البحث عن حياة أسهل في الخارج. فذهب أولاً إلى مصر للدراسة، ثم إلى اليمن للبحث عن عمل.



الصورة: أحمد دلول/إيرين

تسبب القصف الإسرائيلي لقطاع غزة في نوفمبر 2012 في أضرار واسعة النطاق

هذا هو المكان الذي ولد فيه الدويك، لكنه سعى، مثل والده، للتوتر على فرص أفضل، فهاجر إلى سوريا للبحث عن وظيفة بأجر أكبر واستقر بالقرب من البرموك، أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في سوريا.

"لكن ما حدث لأبي بعد حرب عام 1967 حدث لي في عام 2012"، كما روى الدويك لشبكة الأنباء الإنسانية (إيرين).

في منتصف عام 2011، كان الدويك في مخيم البرموك عندما فتحت السلطات النار على المظاهرات واضطرب للبحث عن ملاذ آمن لبعض ساعات حتى أصبح الوضع آمناً بالقدر الكافي للخروج إلى الشارع. وعن ذلك قال: "كنت أعرف أن الوقت قد حان للرحيل، لكن إلى أين؟"

يواجه اليمن، حيث نشأ الدويك وتربى، اضطرابات خاصة به، بينما سببت عدة دول عربية أخرى على الفلسطينيين الدخول إلى أراضيها. فلم يبق أمامه سوى غزة، هذا القطاع الصغير من الأرض الواقع تحت حصار كل من إسرائيل ومصر، حيث الظروف المعيشية صعبة، ومن المتوقع أن تتفاقم، كما تشير أحدث تقارير الأمم المتحدة. في غزة، لا يحصل أكثر من 60 بالمائة من السكان على الغذاء بشكل آمن، ويعيش 39 بالمائة منهم تحت خط الفقر، وتصل نسبة البطالة إلى 29 بالمائة.

عاد الدويك وزوجته وطفليه من بين 150 أسرة تقريباً من سوريا إلى غزة، وفقاً لمجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا (التي أسسها عدد من التجمعات الفلسطينية والمنظمات غير الحكومية لاستجابة لأزمة فرار اللاجئين من سوريا). ومن بين هؤلاء، تم تسجيل 154 شخصاً في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).

سوريا هي موطن لأكثر من نصف مليون لاجئ فلسطيني طردوها من ديارهم في حرب 1948 و1967. ويشعر المسؤولون في الأمم المتحدة والسلطة الفلسطينية بالقلق على نحو متزايد إزاء مصيرهم في الصراع الدموي في سوريا.

وكانت مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا قد وقعت مقتل 990 لاجئاً فلسطينياً منذ بداية النزاع في سوريا، في حين لايزال كثيرون غيرهم في عداد المفقودين.

لـأعـتـرات الألـاف إـلـى الإـقـامـة مع أـسـر مـضـيفـة في سـورـيا وـالمـبـانـي التـابـعـة لـلـأـونـزوـرا أو الـحـكـومـة هـرـبـاً من أـعـمـالـ العنـف، وـفـرـ 20,000 إـلـى لـبـانـ وـ5,500 إـلـى الـأـرـدـنـ، عـلـى الرـغـمـ من أـن طـارـقـ حـمـودـ، مـنـسـقـ مـجـمـوعـةـ الـعـمـلـ التيـ نـشـرتـ مؤـخـراً درـاسـةـ عنـ تـأـيـرـ الـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ عـلـىـ الـلـاجـئـينـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ، يـقـولـ أنـ عـدـدـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ الـذـيـنـ فـرـواـ مـنـ سـورـياـ، بـماـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ تـرـكـياـ وـمـصـرـ وـلـيـبـياـ، قدـ يـصـلـ إـلـىـ 50,000ـ شـخـصـ.

العودـةـ صـعـبةـ

لـكـ العـودـةـ إـلـىـ غـزـةـ تـمـثـلـ تـحـديـاً خـاصـاًـ، وـفـقـاًـ لـرـئـيسـ عـمـلـيـاتـ الـأـونـزوـراـ فـيـ غـزـةـ روـبـرـتـ تـيرـنـرـ، الـذـيـ قـالـ لـتـبـكـةـ الـأـنـيـاءـ الـإـنسـانـيـةـ (ـإـيـرـينـ)ـ:ـ "ـلـاـ تـنـوـقـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الـلـاجـئـينـ الـعـائـدـيـنـ بـسـبـبـ صـعـوبـةـ الـوصـولـ إـلـىـ قـطـاعـ غـزـةــ".ـ

وـبـعـدـ قـصـفـ مـكـفـ لـمـخـيمـ الـبرـمـوـكـ فـيـ شـهـرـ دـيـسـمـبـرـ، حـتـ الرـئـيسـ الـفـلـسـطـيـنـيـ مـحـمـودـ عـبـاسـ الـمـجـمـعـ الـدـولـيـ عـلـىـ مـسـاـعـةـ الـلـاجـئـينـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ فـيـ سـورـياـ لـالـعـودـةـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ الـمـحتـلـةــ.

لـكـ "ـلـمـ يـتـغـيرـ شـيـءـ"ـ،ـ كـمـ أـشـارـ عـدـنـانـ أـبـوـ حـسـنـةـ،ـ مـنـ إـدـارـةـ إـعـلامـ الـأـونـزوـراـ فـيـ غـزـةـ،ـ خـلـالـ حـوـارـ مـعـ تـبـكـةـ الـأـنـيـاءـ الـإـنسـانـيـةـ (ـإـيـرـينـ)ـ.

وـيـحـتـاجـ سـكـانـ غـزـةـ الـذـيـنـ يـرـغـبـونـ فـيـ عـبـورـ الـحـدـودـ الـمـصـرـيـةـ إـلـىـ وـتـائقـ سـفـرـ سـلـيـمـةـ،ـ وـيـقـالـ أـنـ الـمـسـؤـولـيـنـ الـمـصـرـيـيـنـ يـخـضـعـونـ سـكـانـ غـزـةـ الـعـائـدـيـنـ مـنـ سـورـياـ عـبـرـ مـصـرـ إـلـىـ "ـفـحـوصـ أـمـنـيـةـ مـكـتـفـةـ"ـ.

”لا تـرـيدـ السـلـامـةـ فـقـطـ
بلـ تـرـيدـ أـيـضاـ إـعادـةـ بنـاءـ
حيـاتـناـ الـتـيـ سـرـقـتـ مـنـاـ
بـسـبـبـ الـحـربـ ...ـ لـقـدـ تـرـكـناـ
كـلـ شـيـءـ تـقـرـيبـاًـ“

وـعـنـدـماـ اـخـضـطـرـ فـرجـ اللهـ أـبـوـ جـرـادـ،ـ الـذـيـ عـاـشـ فـيـ مـخـيمـ فـلـسـطـيـنـيـ فـيـ دـرـعاـ
لـأـكـثـرـ مـنـ تـلـاثـةـ عـقـودـ،ـ إـلـىـ مـخـارـدـ سـورـياـ مـعـ عـالـلـهـ الـمـكـوـنـةـ مـنـ 11ـ فـرـداـ،ـ قـالـ
أـنـ الـمـطـافـ اـنـتـهـيـ بـهـ وـبـوـلـيـهـ فـيـ أـحـدـ السـجـونـ الـمـصـرـيـهـ حـيـثـ مـكـتـ مـدـهـ تـهـرـ
وـخـضـعـ لـاستـجـوابـاـتـ قـبـلـ السـماـحـ لـهـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ غـزـةـ،ـ حـسـبـاـ أـخـرـ شـبـكـةـ الـأـنـيـاءـ
الـإـنسـانـيـةـ (ـإـيـرـينـ)ـ.

كـمـ رـفـضـتـ السـلـطـاتـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ مـعـبـرـ رـفـحـ الـحـدـودـيـ دـخـولـ الـدـوـيـكـ إـلـىـ غـزـةـ
لـأـنـهـ لـمـ يـحـصـلـ عـلـىـ تـأـيـيرـ أـوـ إـذـنـ منـاسـبـ.ـ وـكـانـ السـبـيلـ الـوحـيدـ لـدـخـولـ الـقـطـاعـ عـبـرـ شـبـكـةـ الـأـنـيـاءـ
الـمـشـرـوـعـةـ الـتـيـ تـرـيـطـ بـيـنـ غـزـةـ وـمـصـرـ.ـ وـعـنـ ذـلـكـ قـالـ:ـ "ـكـانـتـ مـخـاطـرـةـ،ـ وـلـكـ هـاـقـ وـصـلـتـ"ـ.

لـكـ هـؤـلـاءـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ يـعـدـونـ إـلـىـ مـكـانـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـوـفـرـ لـهـمـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـنـ وـالـفـرـصـ.

وـبـعـدـ رـحـلـةـ الـدـوـيـكـ الـمـضـيـنـةـ وـمـحاـوـلـةـ إـعادـةـ بنـاءـ حـيـاتـهـ فـيـ غـزـةـ،ـ اـنـدـلـعـ الـحـربـ مـرـةـ أـخـرىـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـمـجاـوـرـةـ
لـهـ تـمامـاـ.ـ قـدـ أـعـادـ الـهـجـومـ الـإـسـرـائـيـلـيـ عـلـىـ قـطـاعـ غـزـةـ الـذـيـ دـامـ تـمـانـيـةـ أـيـامـ فـيـ توـفـيرـ الـمـاـصـيـ ذـكـرـيـاتـ العنـفـ مـرـةـ
أـخـرىـ،ـ حـيـثـ كـانـ الـدـوـيـكـ يـقـيمـ بـالـقـرـبـ مـنـ مـبـنـيـ حـكـومـيـ تـعـرـضـ لـلـقـصـفـ أـنـتـهـيـ الـهـجـومـ الـإـسـرـائـيـلـيـ.

"ـكـانـ كـلـ شـيـءـ يـهـتـزـ:ـ النـوـافـذـ وـالـأـبـوـابـ،ـ وـحـتـىـ الـمـبـنـيـ،ـ وـلـكـ حـمـدـ اللـهـ لـمـ تـصـبـ عـالـلـهـيـ بـأـذـيـ،ـ"ـ كـمـ قـالـ مـضـيفـاـ أـنـهـ
تـسـرـ بـالـخـوفـ مـرـةـ أـخـرىـ:ـ "ـلـكـ مـاـذـاـ يـمـكـنـيـ أـفـعـلـ حـيـالـ ذـلـكـ؟ـ عـانـيـتـ الـكـثـيرـ لـكـ أـعـودـ إـلـىـ هـنـاـ،ـ وـأـخـشـيـ أـنـ
يـعـتـلـيـ الـمـصـرـيـوـنـ إـذـاـ ذـهـبـتـ إـلـىـ مـصـرـ،ـ لـأـنـتـيـ دـخـلـتـ غـزـةـ عـبـرـ نـفـقـ"ـ.

أـمـاـ أـبـوـ جـرـادـ فـقـالـ أـنـهـ سـعـيـدـ لـأـنـ أـسـرـتـهـ فـيـ مـأـمـنـ،ـ لـكـنـ يـجـدـ صـعـوبـةـ فـيـ التـعـاملـ مـعـ مـسـتـوـيـاتـ الـفـقـرـ وـالـبـطـالـةـ
الـمـرـفـعـةـ فـيـ غـزـةـ،ـ وـأـخـيرـ شـبـكـةـ الـأـنـيـاءـ الـإـنسـانـيـةـ (ـإـيـرـينـ)ـ فـانـلـاـ:ـ "ـلـاـ تـرـيدـ السـلـامـةـ فـقـطـ،ـ بلـ تـرـيدـ أـيـضاـ إـعادـةـ بنـاءـ
حـيـاتـناـ الـتـيـ سـرـقـتـ مـنـاـ بـسـبـبـ الـحـربـ ...ـ لـقـدـ تـرـكـناـ كـلـ شـيـءـ تـقـرـيبـاًـ"ـ.

ويقوم أبو جراد بإصلاح منزل أقام فيه والده منذ عقود. الجدران متصدعة وبعض النوافذ محطمة بسبب القصف الإسرائيلي على القطاع في شهر نوفمبر.

وتتجدر الإشارة هنا إلى أن العديد من الفارين من سوريا، لكن ليس جميعهم، لديهم عائلات كبيرة في غزة تقدم لهم بعض الدعم.

ويحصل العائدون أيضاً على نفس خدمات الأونروا التي توفرها لجميع اللاجئين الفلسطينيين الآخرين في غزة، مثل الغذاء والتعليم والرعاية الصحية. وقال أبو حسنة مسؤول الإعلام في الأونروا أنهم يستطيعون أيضاً أن يقدموا بطلبات إلى مشروع الأونروا للخلق فرص العمل لكي يحصلوا على وظائف لمدة ستة أشهر أو سنة لمساعدتهم في البداية.

ولكنه أضاف قائلاً: "لا يمكننا أن نقدم لهم أكثر من ذلك".

وأفاد مسؤول حكومي في غزة تحت إشراف شبكة الأيتاء الإنسانية (إيرين) تبريره عدم نشر اسمه، أن العائدون يمكنهم طلب المساعدة الاجتماعية من الحكومة، مثلهم في ذلك مثل أي مقيم آخر في غزة. لكنه أضاف أنه من الصعب جداً على قطاع غزة، ليس فقط من الناحية السياسية، ولكن من الناحيتيين اللوجستية والمالية أيضاً، استيعاب عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين القادمين من سوريا، الذين لم يكونوا أصلًا من سكان غزة.

ودعا الديوك إلى إيلاء المزيد من الاهتمام، بما في ذلك المساعدات المالية وفي مجال الإسكان، إلى أولئك الذين فروا من بلاد اللجوء "لأنهم رحلوا دون أخذ أي شيء معهم. فهم يبحثون عن مكان أكثر أماناً يمكنهم العيش فيه، ولكن ليس كلاجئين مرة أخرى".

ad/ha/cb-ais/dvh